لا أنساها لطلحة

إدخال السرور على المؤمنين هبة يمن الله بها على من شاء من عباده، والمرء الذي يفرح لفرح أخيه، ويسعى جهده لكي يدخل السرور عليه دون أي مصلحة يرجوها منه رجلٌ عظيم النفس، فخيم الشأن؛ يأوي إلى إيمان صادق، وينزع إلى مروءة تامة، ويحمل بين جنبيه نفساً طاهرة، وسريرة صالحة.

وإن سبل إدخال السرور على المؤمن كثيرة ومتعددة، ومن رامها فُتحت له أبوابها، وإن من تلك الأبواب تهنئة الناس بأفراحهم، ومشاركتهم أتراحهم.

وإنك لترى من بعض الناس من ترى أنه قد فتح له في هذا الجانب، لا يرى مستحقّاً للتهنئة إلا هنأه، ولا مصاباً إلا عزاه، ولا محزوناً إلا استمع له وأعانه وواساه، لا يَشغله عنه أعباء، ولا يطلب عليه جزاء؛ فهنيئاً لهؤلاء عون الله وتوفيقه؛ فالله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه.

وبين يديك ـ أيها القارئ الكريم ـ موقف يسير، ولكن أثره عظيم كبير، يحكيه الصحابي الجليل كعب بن مالك رضي الله عنه عن نفسه، فكعبٌ رضي الله عنه أحد الثلاثة الذين خلِّفوا في غزوة تبوك، فلما كبرت سنه، وكُفَّ بصره ذكر قصته، وأحداث

تخلفه، وتوبة الله عليه وعلى صاحبيه، فلا يُغفِل ذكرَ معروف أسدي إليه، قد رسخ في ذاكرته، وانتقش في قلبه، فهو يحدث به وقد مضى عليه أكثر من أربعين عاماً.

فيا ترى، ما هذا المعروف العظيم الذي ما نسيه كعب رضي الله عنه؟

هل أنقذه أحدٌ من مهلكة؟ أم أطعمه امرؤٌ في يوم ذي مسغبة؟ أم قضى له إنسان حاجة كانت عصيَّة مستغلِقة؟

كلا، لم يكن شيء من ذلك؛ بل هو أيسر من ذلك بكثير، حكاه كعب نفسه، لا يجاوز سطراً واحداً عند كتابته، مما يدل على أن مدته الزمنية لم تجاوز دقيقة تقريباً.

فقد ذكر كعب رضي الله عنه أن الناس جاؤوا يبشرونه بتوبة الله عليه وعلى صاحبيه، فانطلق رضي الله عنه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، والناس يلقونه فوجاً فوجاً، يهنئونه بالتوبة، حتى دخل المسجد، يقول كعب: فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس حوله الناس، فقام إلي طلحة بن عبيد الله يهرول حتى صافحني وهنأني، والله ما قام إلي رجل من المهاجرين غيره.

ثم قال كعب: «ولا أنساها لطلحة»[(١)].

فقط مجرد مبادرة طلحة رضي الله عنه وقيامه لكعب مصافحاً مهنئاً، هي التي فعلت في قلب كعب ما فعلت، وجعلته لا ينسى قيامه؛ بل لا ينسى هرولته.

---

(١) أخرجه البخاري (٤٤١٨)، ومسلم (٢٧٦٩).

إنه موقف يسيرٌ جدّاً يوفق الله لمثله بعض عباده، يورث ذكراً لا يُنسى، وحبّاً دائماً لا يبلى.

فلا تحقرن تهنئة تبذلها لأخيك بسبب خير ناله، واحذر أن يدور بخَلَدك بأن المهنئين كثير فتتقاعس عن بذلها، فقد يكون ظنك غير صحيح، فرُبَّ مستحقٍّ تهنئةً، ولا طلحة له، فهرول نحو صاحبك المسرور في لحظته الأولى مهنئاً؛ فرُبَّ تهنئة في مكالمة لا تستغرق سوى بضع ثوان، ثم تنسى الأمر وصاحب الشأن لا يزال يردد، لا أنساها لفلان.

ويدخل في ذلك - أيضاً - مشاركة الناس أتراحهم؛ فالرجل الموفق من يحرص على تثبيت المصابين، وإسعاد المحزونين؛ فتراه يزور هذا المريض، ويعزي ذاك المصاب، ويواسي ذلك المكلوم، ويجبر خاطر المكسور المظلوم؛ فلذلك أثر عظيم في النفوس؛ ففي خِضَمِّ حادثة الإفك التي رميت بها عائشة رضي الله عنها كذباً وزوراً، تحكي عائشة تفاصيلها فلا تنسى موقف امرأة من الأنصار، استأذنت عليها، فأذنت لها، فجلست تبكي مع عائشة؛ تفجّعاً لما نزل بعائشة، وتحزّناً عليها![1].

فلولا أثر بكاء هذه المرأة في نفس عائشة رضي الله عنها لم تذكر عائشة خبرها![2].

(١) أخرجه البخاري (٢٦٦١)، ومسلم (٢٧٧٠).
(٢) اشتهر كثيراً في مواقع التواصل أن عائشة قالت عن موقف هذه =

إن مشاركة الآخرين في أفراحهم وأتراحهم خُلُقٌ إسلامي عظيم، يدلُّ على سموِّ نفس، وعظمة قلبٍ، وسلامة صدر، ورجاحة عقل، فهنيئاً للمشاركين!

فرب ابتسامةٍ بذلتها لأخيك في فرحِه، أو دمعةٍ ساحت على خدك في مصابِه، أو كلمةٍ بذلتها له في حزَنه، قد شيَّدت في قلبه قصراً من المودة لك وأنت لا تشعر، فركضاً إلى إسعاد المشاعر، وجبر الخواطر؛ فذلك فعل الأماجد الأكابر.

= الأنصارية التي بكت: «لا أنساها لها»، وهذه اللفظة ليست موجودة في كتب السُّنَّة.